ليوناردو دافينشي

الملخص :

العبقرية ظاهرة إلهية و ليست اكتسابا عاديا ، تتجدد إرهاصتها بتجدد الحالة النفسية ، و تترجم معالمها غالبا إلى إبداعات فنية متفاوتة نوعا وحدة.و المقال التالي عرض لعبقرية الرسام الايطالي ليوناردو دافينشي .

الأستاذ : موسوني محمد

قسم اللغة العربية و آدابه
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية
– جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان–

ليوناردو دافنشي

يقول المؤرخ الإيطالي (فازاري) عن دافنشي ، قد تهب السماء إنسانا من الجمال والذكاء والقدرة ما يدفعه ىإلى بلوغ الروعة الإلهية ، فيتجاوز حدود البشر في التفكير والإبداع إن عبقريته ظاهرة إلهية ، زليست إكتسابا عاديا ، ولقدرأينا في ليونارد دافنشي على جماله الرائع . قدرة عظيمة في الابتكار ، إذ يستطيع أن يحل أي معضلة تعترضه في حياته اليومية .

إذا كان دافنشي رساما خارقا ونحاتا فائقا ، وكان عالما رياضيا حاول اختراع الطائرة، وصمم آلات الحرب والسلم ، وكان موسيقيا رائعا ، ووضع أحسن كتابا في التشريح في زمنه .كان قويا يستطيع لوي نعل الفرس بيده ، ورقيقا يتألم لعصفور يتعذب في قفص ، فيطلقه مهما كان ثمنه غاليا .

ولد في فلورنسا عام 1452 م بمدينة تسمى فنشى حيث فنشى حيث يسمى بإسمها . أرسله أبوه ليدرس الحقوق فلم يألف هذه الدراسة ، فانتقل إلى دراسة الرياضيات ، ثم درس قدرة العصافير على الطيران ، وصورها بجميع حركتها ، وعندما شاهد الفنان (جيروكو) لمرسمه ليتابع الرسم فأظهر دافنشي تفوقه على أستاذه وخاصة في لوحة (يوحنى المعمدان) (1)، مما أدى لجيروكو إلى ترك الرسم والاكتفاء بالنحث .

لقد كتب دافنشي لدوق ميلانو قائلا : (إنني أخترع الآلات الحربية واسنع الجسور المتحركة ، والعربات السريعة ، وأنني مهندس ماهر ، وأخيرا فأنا أصنع التماثيل من المرمر والبرونز والأحجار وأصور أي شخص كائن من كان).

ذاعت شهرة دافنشي في كافة أنحاء إيطاليا فكلفه الإشراف بالتصوير والنحت فقط .

وقضى في ميلانو 17 عاما ، وفي عام 1495 صور لوحة العشاء الأخير في قاعة الطعام بأحد الأديرة ، ويعتبر هذا العمل أشهر أعماله حيث اهتم بدراسة الانفعالات ، والمشاعر والخواطر الخاصة(2) .

أما الجوكندة رائعته الخالدة بقي يرسمها مابين عام 1503 حتى عام 1506 م وهي صورة المناليزا زوجة فرانشسكو جوكوندو ، ففيها السحر الغامض ، وبراعة بلغت حد الإعجاز ، وهي موجودة بمتحف اللوفر بباريس ، كما صور صورة العذراء والطفل ، والقدسية آن وهي في اللوفر أيضا .

وانضم دافنشي إلى مالك فرنسا فرانسو الأول وكان يحبه ويحترمه ، ووعده بصورة الحوكاندة بعد وفاته ، وقد مات ليوناردو بين يدي ذلك الملك الصديق عام 1519 ، ومازالت أعماله الفنية موزعة في المتاحف ، أما أعماله النحتية لم يبق منها إلا تمثالا مستورتزا في فلورنسا وتمثال رأس سيبو في اللوفر وتمثال الفارس في ونستون .

ويعرف اليوناردو دافنشي اليوم بأنه مبتدع عدد قليل من اللوحات الزيتية ، ومئات من الرسومات الرائعة ، وبالأفكار التي تسجلها في مذكراته عن موضوعات متباينة ومختلفة . مثل العلوم الطبيعية ، والهندسة ، والفضاء ، والتشريح ، والجيولوجيا ، والرياضيات ، ولو قدر له وكان موجودا بيننا في هذا العصر ، فمن المحتمل أنه كان يهب نفسه للعلمالتطبيقي والتجربة وقد كان طوال حياته مفتونا بالطبيعة وقوة الرياح والزلازل ، وأكثر من ذلك بالمياه وكيفية تحكم الإنسان في قوى الطبيعة وهذه أهم اختراعاته .

1- القديس آن في فلورنسا رسم لوحة العذراء والطفل مع القديس آن، وقد رأى بعض الباحثين أنه قد يكون استوحى هذه اللوحة من ذكريات مع أمه [كاترينا] الفتاة القروية التي ماتت في مقتبل العمر ، وزوجة أبيه .

2] العشاء الأخير:

وقد تكون أشهر لوحات ليوناردو وتوجد في ميلانو ، وقد عانت من التآكل بسبب الطريقة غير المجربة وغير المناسبة التي كان يتبعها في الرسم على الحوائط.

3] الجوكندة :

صورة النبيلة الفلورنسية موناليزا ، زوجة فرانسيسكو دل جيوكندو ، ولعلها أروع صورة رسمت على الإطلاق، وتوجد في متحف اللوفر.[1]

[4] أعمال النحت:

للأسف لم يتبق شيء من أعمال النحت التي قام بها ليوناردو ، ولا يوجد لدينا الا بعض الرسومات الخاصة بالنصب الفروسي لفرنسيسكو مستورزا.

5] العمران :

كانت ميلانو في القرن الخامس عشر مدينة أكواخ تزيد ازدحاما عن غيرها ، وقد أعدّ ليوناردو برنامج انشاء شوارع رحبة ومنازل مريحة ومباني للخدمات العامة وشبكة صرف.

6] جهاز تطهير قاع البحيرات :

هناك جهاز تطهير قاع البحيرات الذي اخترعه وكانت أوعية الاستخراج مصممة بطريقة تتيح تفريغ ما يستخرج من قاع البحيرة في عوامات التجميع . وهذا المبدأ يطابق المبدأ الذي تستخدمه أجهزة التطهير الحديثة التي تقوم بتطهير قيعان الموانئ.

7] الهندسة العسكرية :

أولى ليوناردو الهندسة العسكرية اهتماما فائقا وصمم حصنا من نوع جديد ، ويتكون هذا الحصن من جدارين دائمين ، تفصل بينهما خنادق عميقة وكان بامكان المدافعين الاتصال ببعضهم بعضا بسهولة عن طريق ممرات تحت الأرض.

8)البريمة الهوائية :

تعتبر (البريمة الهوائية) التي صممها اليوناردو ، التمهيد الأول للهليكوبتر الحديثة ، وكان أربعة رجال يقومون بتواليد القوة عن طريق تحريك مقبض يقوم بإدارة أسطوانة عمودية متصلة بمحرك ، وبهذه الطريقة كان الجهاز يحمل في الهواء .

9] رائد الطيران :

كان ليوناردو هو رائد الطيران الحالي. وقد كان في الحقيقة أول انسان يواجه مشكلة الطيران فاخترع أجنحة ، وهو ما يعني نوعا من الطائرات دون محرك، تستطيع الطيران بمساعدة التيرات الهوائية مثل الخفاش.

10] ألبسة الغطاسين

يستخدم الغطاسون حاليا أردية تشبه إلىحد كبير ماكان ليوناردو قد صممه قبل 500عام ، ويستخدم السباحون تحت المياه في وقتنا هذا ، زعانف لاتختلف عن تلك التي صممها ليوناردو .

المدرسة السيكولوجية .

إذاكان أصحاب السيكولوجية ، لايعترفون للإبداع الفني بأنه وحي إلهي وسمة سحرية ، يتلقاها الإنسان من الأعلى ، أو بعباره أخرى توفيقية الإبداع ، فإنهم كذلك لا يوافقون على أنه من إدراك العقل وإبداع الفكر الإنساني ، ولا الانعكاس الظواهر الاجتماعية والظروف البيئية المحكمة ، بل هو تنفيس وفضفضة ما يخبئه اللاشعور الشخصي من ترسبات الذكريات الطفولية ، التي عاشها الإنسان منذ ولادته بمرّها وحلوها (3) .

وذهب رائد هذه المدرسة سيجموند فرويد " إلى أن الشخصية تتكون من ثلاثة قوىالأنا والأنا الأعلى والهو ، الأنار تعاني التوترات نتيجة الضغط المستمر من الأنا الأعلى والهو ، ذلك أن وظيفة الأنا الأعلى على الدوام هي الضغط أو الكبت ، أما الهو فوظيفته على الدوام النزوع إلى المحرم ، ومن هنا فالصراع دائم بين هذه القوى ومحصلة هذا الصراع تتجلى في سلوك الشخصي في أي موقف " (4)القديسة آن رسم ليوناردو لوحة " العذراء والطفل مع القدسية آن " واختصرت بلوحة القدسية آن" ، فهي تمثل القديسة آن و العذراء و المسيح الطفل و تبين الابتسامة اليونارية مصورة بجمال رائع في رأس الأنثيين في هذه الصورة تجلس العذراء على حجر أمها ، منحنية إلى الأمام تمد كلا من ذراعيها وراء الصبي الذي يلعب مع حمل صغير و الذي لا بد قد ضايقه قليلا ، فأما الجدة فقد أسندت ، إحدي ذراعيها الظاهرتين عل فخذها وهي تنظر إلى الإ ثنين في ابتسامة مغتبطة ...) التحليل السيكولوجي للوحة .

يستعين فرويد في تحليل هذه اللوحة على مذكرات دافنشي نفسه و الحلم الذي رآه وهو مايزال طفلا من جهة ،ومن جهة أخرى سرد المؤرخ (فساري) الذي عاصر الفنان ،لبعض جوانب شخصية لينارد الخفية .

وبما أن اللاشعور هو خزان الذكريات المختلفة بتفاصيلها السلبسة و الإيجابية ، فإنها تظهر من حين إلى آخر عن طريق فلتة اللسان ،أو في الأحلام . ومن ذلك نجد فرويد يركز أساسا على هذا الحلم في تفسير هذه اللوحة ، الذي رآه دافنشي وهو لازال طفلا صغيرا من أن نسرا ضرب فمه بذيله ، أي عند ما كان في المهد هبط عليه النسر وفتح فمه بذيله وضربه عدة مرات بذيله على شفتيه .

فهذا الحلم الطفولي ، هوالمفتاح الرئسي لحل لغزلوحة القديسة آن ،ويرى فرويد أن الناضر ،حينما يستغرق في تأمل هذه الصورة يقرر أن اللوحة ليوناردو ،لالغيره ،لأنه هو صاحب الحلم و الابتسامة العجيبة معا . فاللوحة مركب تاريخي لطفولة دافنشي على حد قول د. علي عبد المعطي محمد ، فيصور فيها دافنشي مأساته الطفولية ،وولادته االاشرعية ، وانتقاله من حضن أمه الحنون (كارتيا) القروية الفقيرة في السن الخامسة إلى حضن زوجة أبيه دونا ألبيرا الأرستوقراطية.فهو يمثل بذلك في تلك اللوحة طفولة ترعاها أم وجدة ، أي جدته أم أبيه السيدة "مونالوشيا" التي كانت بمثابة أم ،وقد صورت أكثر نضجا من السيدة العذراء، وجعل دافنشي لذلك صبي آمان إحداهما التي مدت دراعيها وراءه والأخرى هي التي في الخلفية وكلتاهما تبدوان

بابتسامةالسعادة الأمومية المغتبطة ويرى البعض أن الأولى أمه الحقيقية (كاترينا) والثانية صغيرة حنونة هي (دوناألبيرا)زوجة أبيه .
فنرى دافنشي يشكل في اللوحة بطريقة مقلوبة ذلك الحلم الذي رآه وهو مايزال طفلا أي رسمه لذيل النسر وهو يقبله ،ويفسر فرويد كيف تحولت الأم إلى نسر يلصق ذيله بفم الطفل مع ذكر أن هذا الذيل هو عضو التذكير ، فكيف أن الأم تجمع بين الطبيعة الذكورية و الأنثوية في آن واحد ،فيميزها فرويد الأساطير القديمة مثل)) mutالآلهة موت (
التي تتميز بأثدائها كأنثى و تحمل عضو التذكير في حال انتصاب وايزيس وحاتحور ونيت في مصر ،وآثينا آلهة اليونان .
وكل هذا يأتي به فرويد لتفسير حلم دافنشي الطفولي في اللوحة ،وتفسير أنواع الكف و المنح في حياة ليناردو الجنسية في نشاطه الفني على حد قول د. علي عبد المعطي محمد .
ومن هنا نرى أن حاضر الفنان طبقا اهذا التفسير ، إلانتيجة لما ضيه البعيد ، و قيمة الدوافع الشبقية بوجه خاص من أهم مميزات تفسير اللوحة سيكولوجيا.

الهوامش و المراجع

1) لبيب عبد الستار: الحضارة . بيروت. دار المشرق ط و 1974

2) محمد فؤاد ابراهيم : المعرفة . بيروت شركة النشر و التوزيع ط1

3) د. علي عبد المعطي محمد: الابداع الفني و تذوق الفنون الجميلة، الاسكندرية، دار المعرفة ط. سنة 1985

4) د. شلق علي : الفن و الجمال، بيروت ،المؤسسة للدراسات و النشر ط1 سنة 1982م

Sigmund ,Freud :un souvenir d'enfance de léonard de vinci , traduit de l'allemand, par marie Bonaparte

Imprimé de France M Gallimard, 1977. p61